تجليات الإبداع الأدبى : دراسات فى الشعر والقصة والمسرحية

البنداری ، حسن.

تجليات الإبداع الأدبى : دراسات فى الشعر والقصة والمسرحية/ حسن البنداری .ـ ط ١ .ـ القاهرة : مكتبة الآداب، ٢٠٠٢ .ـ ٢٦٨ ص.

عـرض
الدكتور/ أحمد طاهر حسنين
أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية
جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب بمكتبة الآداب بالقاهرة سنة ٢٠٠٢، فى ٢٦٨ صفحة

يقدم هذا الكتاب رؤية نقدية عميقة تسعى إلى فحص نصوص شعرية و قصصية ودرامية، بهدف الكشف عن قدراتها أو تجلياتها الإبداعية فى محاولة لربط الإبداع الأدبى بعملية التلقى ، وهو الأمر الذى لا نجد له نظائر كثيرة فى بحوثنا النقدية.

والكتاب يبدأ برغبة قومية فى ضرورة استنباط آليات أسلوبية وتقنية ونقدية تلائم عملية التطبيق على الأدب العربى ، بعيدا عن استيراد آليات أجنبية يكون فى تطبيقها عادة محاولات خاسرة. والكتاب كما أشرت يكشف عن الصيغ الجمالية الكامنة فى النصوص ، ويحدد ما تحتوى عليه تلك الصيغ من أفكار ومضامين.

هدف المؤلف إذًا من اللحظة الأولى لسطور الكتاب هو الأخذ بيد القارئ و معاونته على التلقى الجيد للنصوص قيد النقاش ، وله بعد ذلك وليس قبل امتلاك هذه المهارة أن يطبق المعايير نفسها على نصوص أخرى كى يحس الاستمتاع والفائدة معا، وهو أقصى ما يطمح إليه هذا الكتاب، ويكفى أن مؤلفه يشير فى نهاية المقدمة إلى أن «استمرار الإحساس بمتعة التلقى يعتبر ترجمة عملية لوظيفة الإبداع الأدبى أو الفنى بوجه عام» ص١٢

ينحى هذا الكتاب منحى النقد التطبيقى وهو الذى أضحى عسير المنال فى الوقت الراهن ، فكم تدفع المطابع بحوثا وكتبا صباح مساء ، وعلى ذلك لا تجد أمثلة شارحة و لا نماذج ممثلة ، ولنكن صادقين، أضيف لا نجد ذلك إلا نادرًا . ولعل هذا الأمر هو ما يميز هذا الكتاب ويشهد لمؤلفه بالإجازة والتميز ، ذلك فضلا عن أن النقد اللغوى يرسى العديد من أدوات التحليل التى تكشف بموضوعية عن عناصر الخطاب الأدبى عبر معايير ملموسة ترتفع بالنقد الأدبى عن التأثر به والانفعالية ، وتقترب به إلى دائرة التذوق الأدبى المنشود.

ليس معنى تميز النقد اللغوى عما سواه إهمالا أو تغافلا عن أهمية مناهج أخرى تفرض نفسها على الساحة ولها مصداقيتها بل كذلك لها جمهورها الذى يحترم ما تسفر عنه من معطيات متطورة .

لكننا مع ذلك نظل فى جانب النقد اللغوى الذى يتسم بمراعاة خصوصية كل عمل أدبى ويحاول تطبيق المعايير الملائمة لا نقول فقط على الجنس الأدبى بوجه عام إن كان شعرًا أو قصة أو مسرحية، لكنه يمتد كذلك إلى مفردات هذا الجنس ممثلا فى قصيدة أو مقطوعة أو حوار قصصى أو موقف أو مشهد مسرحى؛ ليمارس معه ومن خلاله كافة الأدوات الممكنة، والتى تستطيع أن تنفذ إلى جوهر العمل الأدبى، وتستخرج مكنوناته بدقة ونجاح .

وهكذا فعل الأستاذ الدكتور حسن البندارى، وهو ناقد نابه وبصير نثق بقراءته التراثية والمعاصرة، ونطمئن إلى منهجه النقدى الأصيل والمطبوع. وتتجلى ملامح العبقرية النقدية بادئ ذى بدء ، من طريقة بناء الكتاب وفق معمارية تم تشييدها فى مقدمة وثلاثة فصول . والخيط الذى ينظم المقدمة والفصول خيط متماسك ومتين، ينبثق من رؤية ذكية ووعى ملموس بتلك المعادلة التى يراها المؤلف ضرورية ومطلوبة ، هى أن التجليات الإبداعية لدى المنشئ سواء كان شاعراً أو قصاصاً أو مسرحيا دراميا ، إنما يقابلها - أو هكذا ينبغى أن يكون - إحساس مرهف من قبل المتلقى وشعور عازم دائما على بلوغ الهدف .

ومن هذا التراسل الحى والحساس ، بين أديب ومبدع ومتلق واع وراغب ، تنشأ قطعة أدبية جديدة يصب فيها الناقد فهمه وتصوراته ومشاعره حيال النص ، وهو فهم و تصورات و مشاعر ترتكز أول ما ترتكز على معايير موضوعية و اضحة ومحددة.

إن الذى يقرأ نقدنا التراثى - و كله خير على ما أعتقد - تصيبه الدهشة حين يرى تلك العبارات التى تتعدد ضمن «انقرائية» مؤلفاته : يحكم للشاعر / يحكم على الشاعر ، وكأن المسألة قد دخلت ساحة قضائية يحكم للشخص أو عليه .

وربما هكذا نقدنا الحديث الذى أصبح ينظر إلى عمل الناقد على أنه قراءة ، وقراءة تحليلية فاحصة ، تدخل إلى النص باحترام وتعاطف؛ لتستكشف مناحى الإبداع والعظمة فيه. وبذلك تتعدد مداخل التناول النقدى والتحليلى بتعدد القراءات.

يظل الكتاب إضافة جديدة إلى رصيد النقد الأدبى المتطور الذى يستغل من إمكانات الحاضر وإسهاماته ما يوصل إلى فهم أوضح وشامل للنصوص الأدبية على اختلاف أجناسها ومراجعها سواء كانت شعرًا أو قصصا أو مسرحيات.

روعة هذا الكتاب تكمن فى أن المؤلف يبتدع معايير نقدها من السهل الممتنع؛ ذلك لأن مادتها قد تكون موجودة فى تراثنا القديم، لكن بلورتها وتصنيفها وإعادة تشكيلها وانضمام كل منها وانخراطه ضمن عنوان موح ومعبر ومبتكر فى نفس الوقت. يخصص المؤلف فصلا كاملا لكل جنس أدبى فالفصل الأول الذى يتناول الشعر ، نجده يتعرض لإبداعات عدد من الشعراء ، إلى جانب عدد من المباحث المهمة . و على سبيل المثال لدينا المبحث الأول يحمل عنوان «التعاقب بالثنائيات» المتضادة فى الشعر العربى الحديث؛ وفيه يعرض المؤلف لنوعين؛ أحدهما التعاقب المباشر عند

حافظ إبراهيم ، وعلى الغاياتى ، وصالح الشرنوبى ، وثانيهما يسميه التعاقب المائل إلى الإيحاء عند كل من أحمد محرم وفوزى المعلوف وصالح الشرنوبى . كما يشمل الفصل الأول أيضا مبحثين آخرين؛ هما التبادل الصيغى نسبة إلى الصيغة ، والسرد الخبرى والعريض التساؤلى ، وتحت كل منهما مباحث فرعية أخرى تكشف فى جلاء ووضوح عن أسلوبية النصوص الإبداعية وفق منهج مترابط ومحكم .

الفصل الثانى عن القصة ، وهى دراسة تعكس رؤية المؤلف الناقد والمستندة أساسا إلى النصوص نفسها ، وبخاصة للأديب الكبير نجيب محفوظ . وبرغم ماظهر من دراسات عن هذا العملاق الحائز على جائزة نوبل ، فإن كتاب «التجليات» الذى معنا يضيف أرصدة جديدة ترتفع بالإسهامات السابقة عليه درجات فوق درجات .

الفصل الثالث والأخير ، يركز الناقد حسن البندارى على ثلاث مسرحيات ذات الفصل الواحد للمبدع حامد طاهر ، ومنها يكشف عن العديد من الوسائل الفنية المستخدمة فى هذه المسرحيات والتى جاءت لتحمل عناوين : الطابع الصوتى، والتوظيف الدرامى، والتناسب اللغوى ، وحيوية الصيغ الحوارية ، و«المنهج الأسلوبى» .

فى كل ذلك ، يظهر المؤلف وهو هنا الدكتور الناقد حسن البندارى عربيا لحما ودما ، يضيره أن يرى أدبنا العربى يقع فريسة لمبضع النقد الغربى ، وهو الأمر الذى دعاه إلى أن يكشف عن هذه المكنونات التراثية للنقد والتحليل ، فى محاولة جادة تجعلنا نعتقد معه أن تراثنا مايزال نبعا ثرا، نستطيع أن نوظف معطياته أيضا للإبداعات الأدبية الحديثة .